

أساليب التعليم النشط ودورها في إدارة الصف

د. عامر رضا

المركز الجامعي - ميله

الملخص:

تسعى الإدارة المدرسية الحديثة من خلال توفير النظام الصفّي الفعّال إلى تنظيم عملية التعلم، وتنظيم البيئة التعليمية، التي تساعد المتعلمين على استيعاب الخبرات التعليمية المقدمة لهم من طرف المربين، من أجل ضمان استمرارية انتباههم، وتحقيق أهداف الدرس بيداغوجيا ومعرفيا وعليه مسألة توفير النظام الصفّي الفعّال يحتاج إلى تخطيط للأنشطة التعليمية ضمن طرائق التعليم النشطة، من خلال مختلف الأدوار التي يقوم بها المعلم والطلاب بحيث لا يعتمد على العشوائية التي تترك النظام الصفّي، وتؤدي إلى ظهور المشكلات الصفّية داخل الإدارة المدرسية، ومع ذلك الأساليب التعليمية الحديثة تحاول التقليل منها مهما بلغت عظمتها.

Abstract:

The school administration modern through the provision of system classroom effective to Be organize the learning process and the organization of the learning environment, which help learners to accommodate the educational experience provided to them by educators, in order to ensure the continuity of their attention, and achieve the objectives of the lesson pedagogy, cognitive and upon the issue of the provision of the classroom effective needs to the planning of the activities instruction within the teaching methods active, through various roles of teacher and students so that does not depend on the random confuse the system classroom, and lead to the emergence of problems classroom inside the school administration, however the methods of modern teaching is trying to Underestimated them regardless of their greatness.

مدخل:

لعلّ من أبرز التحديات التي جابهت التدريس في وزارة التربية والتعليم الجزائرية على وجه العموم منذ سبعينيات القرن الماضي هي تحقيق المهام التقليدية التي تضطلع بها المدرسة، وهي التدريس ومحو الأمية والخدمة العامة للأجيال المتعطشة للعلم والتعلم على وجه الخصوص، خلال أطرها العلمية التدريسية خاصة بعد (أمرية أبريل 1976م) التي مكنت المدرسة الجزائرية على اختلاف مشاربها ودرجاتها بنقل المعرفة للمتحمقين بها من المتمدرسين، ومن ثم تزويد المجتمع بالمهارات والكفاءات العلمية والتقنية، وكذا تقديم مختلف الخدمات الاستشارية، وإنجاز بعض المشاريع المتصلة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية والعملية.

وعليه يؤكد العديد من مفكري ورواد التربية والتعليم والإدارة التعليمية في ظلّ العولمة وتحديات المدرسة الجزائرية، وأساليب التكوين المستخدمة في المدارس العليا للأساتذة على أهمية أساليب التعليم النشط من قبل المعلمين في معظم بلدان العالم المتقدمة، وأنه مفهوم يعتمد على استراتيجية تستهدف تطوير العمل التربوي من خلال تحسين أداء المعلم المهني والقيادي، حيث بدأ مع طلائع القرن التاسع عشر الميلادي التركيز على أساليب هذا النوع من التعليم نظرياً وتطبيقياً، وبيان أثره على الارتقاء ببرامج النمو المهني للمعلمين، بالإضافة إلى محاولة ترسيخ اقتناع المعلمين بأهمية ممارسة "التعلم التعاوني/العصف الذهني" كمدخل في تطوير أسلوب إدارة الفصل، لأن المتعلم هو محور العملية التعليمية التعلمية، وقد أثبتت الدراسات الحديثة في علم النفس التربوي، أن الطريقة التي يساهم فيها المتعلم بنفسه في بناء التعليمات هي الأنجع والأهم في تكوينه و تعلمه بدلا من الطرق التقليدية، فالتدريس في المناهج الحديثة (التدريس بالكفاءات) يقتضي أن يكون المتعلم هو محور كل عمليات التعلم، فهو الذي يطرح التساؤلات و يبحث عن الحلول وما على المعلم إلا التصديق والإثراء، والتوجيه.

1- المحور الأول: مفهوم إدارة الصف ضمن المقاربات التعليمية الحديثة

تشكل الإدارة الصفية جزءاً من الإدارة المدرسية داخل النظام التربوي، إذ أن صلتها به أساسية، فهي لا تشكل كياناً مستقلاً، بل هي وحدة مسؤولة عن تنفيذ سياسات الإدارة التربوية والتعليمية وأهدافها المتنوعة «لأنَّ سرَّ نجاح القيادة الإدارية يكمن في نوعية ونمط الاتجاهات الفكرية والسلوكية»⁽¹⁾، التي يؤمن بها المربي، ويسعى إلى تحقيقها داخل المدرسة من خلال تعاملها مع الطلبة، فهو يتمتع بحرية كبيرة في التصرف واتخاذ القرارات، من خلال إدارة تعليمية ممنهجة، تصل به إلى تحقيق الأهداف المشتركة للمدرسة، وهذا داخل بيئة تعليمية مناسبة يحافظ فيها المربي على فعالية الاستمرار بما يمكنه من تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة، من خلال النشاطات التي يسعى "المعلم/المدرسة" الوصول إليها، وهذا عن طريق تعزيز السلوك المرغوب فيه لدى الطلاب والعمل على إلغاء وحذف السلوك غير المرغوب فيه، ليصل في نهاية الأمر إلى جودة إدارة صفية متكاملة مع مختلف الصفوف التعليمية داخل إدارة المدرسة ومنهجها التربوي الذي تقوم عليه ضمن فلسفة تعليمية رشيدة نحو المعاهد التكنولوجية لتكوين مستخدمي التربية، بالإضافة إلى المدارس العليا للأساتذة التي أنشأتها وزارة التعليم العالي الجزائرية في زمن كان فيه المجتمع بحاجة ماسة للإطارات التربوية نحو (المدرسة العليا: بوزريعة (الجزائر)/قسنطينة/سكيكدة /الأغواط)، والتي تسعى جاهدة من خلالها إلى تعليم وتكوين الإطارات العلمية المؤهلة لقيادة المجتمع وتولي مسؤوليات هامة داخله.

ويمكن تحديد أهمية الإدارة الصفية في العملية التعليمية من خلال أساليب وطرق عملية التعليم الصفية النشطة التي تشكل عملية تفاعل إيجابي بين المعلم وتلاميذه، إذ يتم هذا التفاعل من خلال نشاطات منظمة ومحددة تتطلب ظروفاً وشروطاً مناسبة تعمل الإدارة الصفية على تهيئتها كما تؤثر البيئة التي يحدث فيها التعلم على فعالية عملية التعلم نفسها، وعلى الصحة النفسية للتلاميذ، فإذا كانت البيئة التي يحدث فيها التعلم بيئة تتصف بتسلط المعلم، فإن هذا يؤثر على شخصية تلاميذه من جهة، وعلى نوعية تفاعلهم مع الموقف التعليمي من جهة أخرى، ومن

الطبيعي أن يتعرض الطالب داخل غرفة الصف إلى مناهجين: "أحدهما أكاديمي والآخر غير أكاديمي"، فهو يكتسب إذن اتجاهات متعددة نحو: الانضباط الذاتي والمحافظة على النظام، وتحمل المسؤولية، والثقة بالنفس وأساليب العمل التعاوني، وطرق التعاون مع الآخرين، واحترام الآراء والمشاعر للآخرين، إن مثل هذه الاتجاهات يستطيع التلميذ أن يكتسبها إذا ما عاش في أجوائها وأسهم في ممارستها، وهكذا فمن خلال الإدارة الصفية التفاعلية يكتسب المتعلم مثل هذه الاتجاهات في حالة مراعاة المعلم لها في إدارته لصفه، إذا ما أريد للتعليم الصفي أن يحقق أهدافه بكفاية وفاعلية فلا بد من إدارة صفية فعالة.

1-1. مفهوم إدارة الصف:

ونعني بها جميع الإجراءات المنظمة التي يقوم بها المعلم والمتعلم لتوفير مناخ دراسي فعال داخل غرفة الصف، تحقيقاً للأهداف التعليمية وفق أنماط سلوكية مرغوبة تعمل على بناء شخصية المتعلمين بناءً شاملاً لتحقيق غايات وأهداف المجتمع الذي يعيشون فيه، "فراندولف Randolph يرى أن الإدارة الصفية هي مجموع الممارسات التربوية التي يستخدمها المعلم من أجل تشجيع المتعلمين على تطوير التعلم المستقل لديهم، وتطبيق الرقابة الذاتية لذلك التعلم، ولم يخرج إفرتسون "Evertson" عن المعنى السابق حينما وجد أن الإدارة الصفية لم تعد تقتصر على مجرد اكتساب الكفايات الاجتماعية، ومهارات التواصل البيئي والقدرة على إدارة الحوار الصفي، وإنما هي العملية التي تنظم الفاعليات الصفية المختلفة.

ولم يبقَ مفهوم الإدارة الصفية على حاله بعد التغييرات الكبيرة التي طرأت على مهام المدرسة، والمعلم على السواء خلال الحقب الزمنية المختلفة حتى صدور الإصلاحات المدرسية مع بداية الألفية الجديدة، وقد رصد جونز "Johnes" ما طرأ على ذلك المفهوم من تغييرات والعوامل التي أدت إلى ذلك فوجد أنه خلال ستينات القرن الماضي كان الاهتمام الأكبر يتجه نحو الكيفية التي يدار بها سلوك المتعلمين لتحقيق النجاح المدرسي غير أنه كان لمبادئ المدرسة الإنسانية تأثير كبير في تغيير النظرة السابقة حيث لم تعد الغاية للتعليم فحسب، وإنما الاهتمام بتتمية الذات

وتقديرها احتراماً للكرامة الإنسانية لدى المتعلم ومن جهة، ولأن هذين الأمرين يؤثران على التعلم من جهة أخرى، لذلك طلب من المعلم أن يقدم كل مساعدة ممكنة للمتعلم المتأخر كي ينمي الثقة بذاته، ويتلاءم مع نفسه والآخرين، غير أن عدم تحقيق النجاح المرجو منه، دفع المدرسة السلوكية، إلى البحث على طرق تعليمية معاصرة يتكيف معها الصف التعليمي في ظل إدارة تعليمية تفاعلية ذات جودة وقيادة رشيدة.

وهذا ما جعل أدوار المعلم تتعدد وتتداخل بين الدور المعرفي والتقويمي نهاية بالدور الضبطي والإداري، وكلما كان دور المربي أقلّ جموداً وجد المعلم نفسه مشاركاً في نوع معين من العلاج الاجتماعي الذي تختفي فيه المسافة الاجتماعية العائقة له، ويفرق البعض بين الأدوار الأساسية للمعلم (التدريس والتطبيع الاجتماعي والانتقاد الاجتماعي) والأدوار المساعدة من حفظ للنظام والمسؤوليات الإدارية والإشرافية، فالمعلم إن أصبح بنقله للثقافة والمعلومات والقيم خبيراً أكاديمياً ومدرّباً أخلاقياً، فيهتم بالمساعدة في التطبيع الاجتماعي لكل متعلم تحت رعايته من أجل بناء شخصيته وخلقها وتطوير القيم والاتجاهات، إذ يمكن تحديد المجالات التي تبرز من خلالها صفات المعلم الناجح كالآتي: (مهنية/ معرفية/ عقلية/ اتصالية/ جسمية/ انفعالية أخلاقية/ مزاجية/ اجتماعية)، وإذا كان وعي المعلم بأدواره وإجادته لها تنعكس على نجاحه المهني، وعليه فالإدارة الصفية المعاصرة تتطلب منه نوعاً أساسياً من، «التفكير الإستراتيجي، الذي يعتبر من صفات وخصائص السلوك القيادي في عصرنا الحالي، والرؤية الثاقبة، والتبصر الواعي، والحدس وغيرها من صفات وركائز قوة القيادة الإدارية»⁽²⁾.

1-2. أنماط الإدارة الصفية:

تتوقف كفاءة المعلم وفاعليته إلى حد كبير على حسن إدارته للموقف الصفّي والمحافظة على النظام في غرفة الصف، وخلق الظروف المناسبة وتوفير الشروط الملائمة التي يحدث في إطارها التعلم، لأن الإدارة الفعالة للموقف الصفّي شرط ضروري للتعليم والتعلم وتحقيق الأهداف

التربوية، ويدخل في إدارة الموقف الصفّي، توفير الجو الهادئ والمريح للمتعلمين حتى يتم التفاعل الصفّي الناجح والمستمر بين المعلم والمتعلمين من ناحية وبين المتعلمين أنفسهم من ناحية أخرى ولإحداث ذلك لا بدّ من توفير البيئة المناسبة والمشجعة على التفاعل المنتج سواء ما يتعلق منها بتنظيم الأمور المادية في مكان التدريس والتدريب أو الجو الاجتماعي والعاطفي الذي يسودها فمن الثابت أنّ المناخ النفسي والاجتماعي يؤثر تأثيراً كبيراً في طبيعة التفاعل داخل الصفّ التعليمي، وفي نتائج التعلم المعرفية والتقنية والوجدانية للمتعلمين كما إنّ نمط إدارة المعلم لصفه وقيادته للمتعلمين من أهمّ العوامل المؤثرة في المناخ النفسي والاجتماعي في غرفة الصفّ التربوي، «فبدون القيادة لا يمكن للجماعة من تعيين اتجاه سلوكها أو جهودها»⁽³⁾، والتي يتوقف عليها نمط إدارة الصفّ التعليمي.

وعليه نجد أنّ بعض المعلمين يدير صفه بطريقة "تسلطية"، والبعض الآخر بطريقة "ديمقراطية" وبعضهم بطريقة "فوضوية" عشوائية، ولكل طريقة خصائصها وأثرها على السلوك العام والنمط الاجتماعي السائد في الصفّ المدرسي، ففي الإدارة التسلطية يعامل الطلاب بأسلوب القمع، وعدم احترام الآراء وكبت الحريات مما يؤثر على شخصياتهم فيبحثون عن وسائل لإطلاق الحريات عن طريق ممارسة المشكلات الصفية السلوكية سواء مع المعلم أو مع بعضهم البعض كما يؤثر هذا النمط في تكوين جيل سلبي الرأي خاضع للقرارات وهذا ما ترفضه الأهداف المدرسية، فنحن بحاجة إلى جيل واع يدافع عن آرائه ويعبر عنها بصراحة ووضوح وموضوعية، أما النمط الفوضوي فتكثر فيه المشكلات لعدم وضع لوائح وقواعد تحدد أنماط السلوك المرغوبة، مما يؤثر سلباً على الإدارة الصفية للمعلم ففيه نجد الطلاب يتصرفون كما يشاؤون دون وازع أو رادع، مما يزيد من فرص حدوث سلوكيات غير مرغوبة منهم، بينما نجد النمط الديمقراطي داخل الصفّ التعليمي هو المرغوب في هذا الجانب، حيث يتمتع الطلاب فيه بالحرية في التعبير عن آرائهم، والعمل والتفكير وإبداء الرأي وممارسة التعلم دون عقد، ممّا يولد لديهم تمثّل نشاط

صفي إيجابي ينمي لديهم روح المسؤولية والانضباط الذاتي، والقدرة على التعبير عن أفكارهم بشكل إيجابي متزن، مما يؤثر إيجاباً على الإدارة الصفية للمدرسة.

2-3. مهام المربي في إدارة الصف التربوي:

لقد بات على المربي الجزائري المعاصر تبني فلسفة تعليمة فعّالة للحدّ من مشاكل الصف التعليمي من خلال تكوين علمي بيداغوجي للمربين يتناسب مع عقلية المتعلمين على مستوى علم النفس، وعلم الاجتماع التربوي، ممّا خلق نوعاً من التواصل مع الإدارة المدرسية، والمتعلمين بيسر ولين من أجل إدارة صفية مريحة، « فالفائد الذي يهتم بالجانب الإنساني يمتاز سلوكه بالثقة المتبادلة والصدقة والاحترام»⁽⁴⁾، ممّا يشجع الصف التعليمي على التفاعل والانضباط.

أولاً-المهام الإدارية العادية في إدارة الصف:

هناك مجموعة من المهام العادية التي ينبغي على المعلم ممارستها والإشراف على إنجازها وفق تنظيم يتفق عليه مع تلاميذه، ومن بين هذه المهام: أ/-تفقد الحضور والغياب/ب- توزيع الكتب والدفاتر (تأمين الوسائل والمواد التعليمية)/ج- المحافظة على ترتيب مناسب للمقاعد/د- الإشراف على نظافة الصف وتهويته وإضاءته.

ثانياً-المهام المتعلقة بتنظيم عملية التفاعل الصفي:

تمثل عملية التعليم عملية تواصل وتفاعل دائم ومتبادل ومثمر بين المعلم وتلاميذه أنفسهم، ونظراً لأهمية التفاعل الصفي في عملية التعليم، تحث الكثير من الدراسات التربوية على ضرورة إتقان المعلم مهارات التواصل والتفاعل الصفي، والمعلم الذي لا يتقن هذه المهارات يصعب عليه النجاح في مهماته التعليمية ويمكن القول بأن نشاطات المعلم في غرفة الصف هي نشاطات لفظية، ويصنف البعض الأنماط الكلامية التي تدور في غرفة الصف ضمن آليات التواصل الراقية ذات التأثير التعليمي المباشر، إذ يستخدم المعلم هذه الأنماط لإثارة اهتمام التلاميذ للتعلم ولتوجيه سلوكهم وتوصيل المعلومات التي لا يمكنها أن تتحقق إلا من خلال

الآتي: (أن يتقبل المشاعر/ أن يتقبل أفكار التلاميذ ويشجعها/ أن يطرح أسئلة على التلاميذ/ أن يطرح أسئلة عريضة/ أن يحاضر ويشرح/ أن ينتقد أو يعطي توجيهات...).

ولابدّ من الإشارة إلى أمر هام لا يجوز إغفاله عند الحديث عن الأساليب الفعالة لتشجيع التلاميذ على التفاعل في الموقف التعليمي، وهذا الأمر يتعلق بوسائل الاتصال غير الكلامية مثل حركات المعلم وإشاراته وحالات تغاير وجهه، فينبغي على المعلم أن لا يصدر أي حركة أو إشارة من شأنها أن تشعر التلميذ بالاستهزاء أو السخرية أو الخوف، لأنّ هذا يؤدي إلى عدم تشجيعه على المشاركة في عملية التفاعل الصفي.

ثالثاً-المهمات المتعلقة بإثارة الدافعية للتعلم

تكمن أهمية إثارة الدافعية للتعلم لدى الطلاب داخل الصف التعليمي باعتبارها تمثل الميل إلى بذل الجهد لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة في الموقف التعليمي، ومن أجل زيادة دافعية الطلاب للتعلم ينبغي على المعلمين القيام باستثارة انتباه تلاميذهم والمحافظة على استمرار هذا الانتباه، وأن يقنعهم بالالتزام لتحقيق الأهداف التعليمية، من خلال استثارة الدافعية الداخلية للتعلم بالإضافة إلى استخدام أساليب التحفيز الخارجية للطلاب الذين لا يحفزون للتعلم داخلياً، ومن مصادر الدافعية للتعلم الآتي:

* - **الإنجاز باعتباره دافعاً:** إن إنجاز الفرد وإتقانه لعمله يشكل دافعاً داخلياً يدفعه للاستمرار في فعالية النشاط التعليمي، فعلى سبيل المثال أن الطالب الذي يتفوق أو ينجح في أداء مهمته التعليمية يؤدي به ذلك ويدفعه إلى متابعة التفوق والنجاح في مهمات أخرى، وهذا يتطلب من المعلم العمل على إشعار الطالب بالنجاح وحمايته من الشعور بالخوف من الفشل.

* - **القدرة باعتبارها دافعاً:** إن أحد أهم الحوافز الداخلية يكمن في سعي الفرد إلى زيادة قدرته، حيث يستطيع القيام بأعمال في مجتمعه وبيئته، تكسبه فرص النمو والتقدم والازدهار ويتطلب هذا الدافع من الفرد تفاعلاً مستمراً مع بيئته لتحقيق أهدافه، فعندما يشعر الطالب أن سلوكه الذي

يمارسه في تفاعله مع بيئته يؤدي إلى شعوره بالنجاح تزداد ثقته بقدراته وذاته وأن هذه الثقة الذاتية تدفعه وتحفزه لممارسة نشاطات جديدة.

* - **الحاجة إلى تحقيق الذات كدافع للتعلم:** لقد وضع بعض التربويين الحاجة إلى تحقيق الذات في قمة سلم الحاجات الإنسانية فهم يرون أن الإنسان يولد ولديه ميل إلى تحقيق ذاته، ويعتبرونه قوة دافعية إيجابية داخلية تتوج سلوك الفرد لتحقيق النجاح الذي يؤدي إلى شعور الفرد بتحقيقه وتأكيد ذاته ويستطيع المعلم استثمار هذه الحاجة في إثارة دافعية الطالب للتعلم عن طريق إتاحة الفرصة أمامه لتحقيق ذاته من خلال النشاطات التي يمارسها في الموقف التعليمي وبخاصة تلك النشاطات التي تبعث في نفسه الشعور بالثقة والاحترام والاعتبار والتقدير والاعتزاز من (تشجيع/ تغيير البيئة التعليمية/ تنويع وسائل التواصل/ تنويع أنماط الأسئلة..).

رابعاً-المهمات المتعلقة بتوفير أجواء الانضباط الصفّي:

إنّ الانضباط الصفّي لا يعني جمود الطلاب وانعدام الفاعلية والنشاط داخل غرفة الصف، فبعض المعلمين يفهمون الانضباط على أنه التزام الطلاب بالصمت والهدوء وعدم الحركة والاستجابة إلى تعليمات المعلم، كما أن البعض من المعلمين مازالوا يخلطون بين مفهومين هما: مفهوم النظام ومفهوم الانضباط، فالنظام يعني توفير الظروف اللازمة لتسهيل حدوث التعلم واستمراره في غرفة الصف، ويمكن الاستدلال من هذا المفهوم أن النظام غالباً ما يكون مصدره خارجياً وليس نابعاً من ذات الطلاب بينما يشير مفهوم الانضباط إلى تلك العملية التي ينظم الطالب سلوكه ذاتياً من خلالها لتحقيق أهدافه وأغراضه، ولعلّ من أبرز الممارسات التي يتوقع من المعلم القيام بها لتحقيق الانضباط الصفّي الفعال بغية إتاحة فرص التعلم الجيد للطلاب ما يلي :

1- أن يعمل المعلم على توضيح أهداف الموقف التعليمي للطلاب.

2- أن يحدد الأدوار التي يتحملها الطلاب في سبيل بلوغ الأهداف التعليمية المرغوب فيها

3- أن يوزع مسؤوليات إدارة الصف على الطلاب جميعاً ، حيث يحرص على مشاركة الطلاب في تحمل المسؤوليات كل على ضوء قدراته وإمكاناته.

4- أن يتعرف على حاجات الطلاب ومشكلاتهم، ويسعى إلى مساعدتهم على مواجهتها.

5- أن ينظم العلاقات الاجتماعية بين الطلاب، وأن ينمي بينهم العلاقات التي تقوم على الثقة والاحترام المتبادل ويزيل من بينهم العوامل التي تؤدي إلى سوء التفاهم.

2- المحور الثاني: فعالية التعليم النشط في إدارة الصف

لابدّ على المدرسة الجزائرية الحديثة أن تعيد تشكيل ما اكتسبه المتعلم من الوسط المنزلي، وتصبه في قوالب تربوية معينة تتميز بالوحدة والتجانس، كما تتميز بمنهج تربوي واضح الأهداف محدد الخطط له أدواته ووسائله الخاصة ويتعلم المتمدرسون أثناء تفاعلهم مع أقرانهم مجموعة من الاتجاهات والمهارات والمعلومات الخاصة بالكفاءات الاجتماعية والتي لا يستطيعون اكتسابها من الكبار كذلك فإن هذه المرحلة الهامة من التعليم تعتبر الفرصة الأولى بل الفرصة الذهبية في الحقيقة للمجتمع ممثلاً في الدولة التي تشرف على مؤسسات التربية وترعاها أدبياً ومادياً، كي يضع اللبنة الأساسية في تكوين الأفراد تكويناً يساير الأهداف العليا للمجتمع، وفلسفته وذلك بأن يراعي فيها جميع النواحي الدينية والثقافية والاجتماعية حتى يضمن المجتمع في النهاية أجيالاً تدين له بالولاء وتحمل رسالته الوطنية والقومية والإنسانية لأبناء أجياله المقبلة، أو لغيره من المجتمعات الأخرى.

ومن أهم طرائق التعليم المعاصرة هي طرائق التعليم النشط، وهي طرائق حديثة تتماشى مع روح المقاربة العصرية للتعليم واتجاهاته، من خلال عملية التفاعل والمشاركة بين المعلم والمتعلم، من خلال «تنظيم واستعمال مواد التعلم والتعليم لأجل بلوغ الأهداف التربوية»⁽⁵⁾، وللمربي دور هام في العملية التربوية فهو المؤطر الأول في المؤسسة، يدعم المتعلم بالإجراءات المنهجية الجديدة وذلك بتوفير كلّ الوسائل البيداغوجية التي ستساعد على عملية التعلم من وسائل تكنولوجية إلى وسائل نفسية وغير ذلك اختلفت آراء المدراء في ويحرص على أن يعرض كل

نشاط تعليمي مختلف تعلمات اللّغة العربية بواسطة أساليب التعليم النشط، التي تجعل من المعلم والمتعلم في نشاط وتفاعل دائمين، وهذه الطرائق والأساليب قد غيرت الكثير من النظرة النمطية للمتعلم الذي وجد نفسه في محور العملية التعليمية مشاركا إيجابيا فيها، ومن هذه الطرائق نذكر الآتي:

أ- طرائق التدريس القائمة على جهد المعلم: منها (الطريقة الإلقائية/الطريقة الحوارية/الطريقة الهربارتية).

ب- طرائق التدريس قائمة على جهد المعلم والمتعلم: منها (العروض العملية/طريقة المشروعات/التدريس المصغر).

ج- طرائق التدريس القائمة على جهد المتعلم: منها (أساليب التعليم النشط كالتعليم التعاوني، العصف الذهني، طريقة حل المشكلات/التعليم الذاتي/التعليم بالوسائط كالحاسوب).
2-1. أهم طرائق التعلم النشط:

التعليم النشط هو فلسفة تربوية تعتمد على ايجابية المتعلم في الموقف التعليمي ويهدف إلى تفعيل دور المتعلم في تلقيه للتعلمات من خلال العمل والبحث والتجريب واعتماد المتعلم على ذاته في الحصول على المعلومات واكتساب المهارات وتكوين القيم والاتجاهات فهولا يركز على الحفظ والتلقين، وإنما على تنمية التفكير والقدرة على حل المشكلات وعلى العمل الجماعي والتعلم التعاوني، إذن « فالعملية التعليمية ليست عملية ميكانيكية متكررة بل لابدّ فيها من الإبداع والتجديد ومواجهة المواقف ومن مواجهة المشكلات وحلّها⁽⁶⁾»، ومن ثم فطرائق التعليم النشط تؤدي دورا هاما في تحقيق مبدأ التفاعل والمشاركة، لأنّ المتعلم هو محور العملية التعليمية التعليمية، وقد أثبتت الدراسات الحديثة في علم النفس التربوي، أنّه «لايمكنك أن تعلم إلاّ إذا عرفت الغرض من التربية وتمكنت من معرفة وسائلها وطرقها فنا من الفنون»⁽⁷⁾، كما أن الطريقة التي يساهم فيها المتعلم بنفسه في بناء التعليمات هي الأنجع والأهم في تكوينه و تعلمه بدلا من الطرق التقليدية، فالتدريس في المناهج الحديثة (التدريس بالكفاءات) يقتضي أن يكون المتعلم هو محور كل عمليات التعلم، فهو الذي يطرح التساؤلات و يبحث عن الحلول وما على المعلم إلاّ التصديق والتوجيه والإثراء لكل مكتسبات المتعلم التي يبني من خلالها تعلماته من خلال مدركاته ومعارفه اللغوية والفكرية، وهذه الطرائق التي ساهمت في تغيير أساليب التعليم من الطرائق النمطية إلى الطرائق المعاصرة هي كالتالي:

أ- طريقة التعليم التعاوني:

هو موقف تعليمي يعمل فيه التلاميذ على شكل مجموعات في تفاعل إيجابي متبادل يشعر فيه كل فرد أنه مسؤول عن تعلمه وتعلم الآخرين بهدف تحقيق أهداف مشتركة يجعل المتعلم محور العملية التعليمية ويتيح له فرصة للعمل بروح الفريق والتعاون الجماعي الفعال الذي يعكس استمرارية الفريق التربوي « وهو أحد أوجه التطبيق الفعلي للمنهج التربوي الذي يركز على مركزية المتعلم في العملية التعليمية/ التعليمية»⁽⁸⁾، إذ ينمي المسؤولية الفردية والجماعية لدى المتعلمين من خلال مسألة الثقة بالنفس، كما نجده يعود التلاميذ على احترام آراء الآخرين، ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، من خلال « ترتيب التلاميذ في مجموعات وتكليفهم بعمل أو نشاط يقومون به مجتمعين متعاونين، أين يحدث التعلم في أجواء مريحة تخلو من التوتر والقلق، وترتفع فيها دافعية التلاميذ بشكل كبي⁽⁹⁾»، وعليه فالتعليم التعاوني يجعل المتعلم هو محور العملية التعليمية من خلال التعلّمات التي يتفاعل معها ويضمن النجاح لكل المتعلمين، من خلال ممارسة أسلوب التحدث والاستماع والشرح، وتنمي المسؤولية الفردية والجماعية لدى المتعلمين، وتكسبهم مهارات القيادة والاتصال والتواصل، والعمل بروح الفريق كنوع من أساليب التعلم النشط.

ب- أسلوب التعليم بالعصف الذهني:

هي خطة تدريسية تعتمد على استثارة المتعلمين وتفاعلهم انطلاقاً من خلفيتهم العلمية حيث يعمل كل واحد منهم كمدخل لأفكار الآخرين ومنشط لهم في إعداد المتعلمين لقراءة أو مناقشة أو كتابة موضوع ما وذلك في وجود موجه لمسار التفكير وهو المعلم يساعد على تنمية الإبداع والابتكار لحل مشكلة ما وإثارة اهتمام وتفكير المتعلمين في المواقف التعليمية وتنمية تأكيد الذات والثقة بالنفس مع توضيح نقاط واستخلاص الأفكار أو تلخيص موضوعات، وهذا الأسلوب من التعليم يشجعهم على طرح الأفكار والحلول المناسبة وعرض مختلف الإجابات الممكنة وصولاً للحلول النهائية بصورة حسنة، وبعد العصف الذهني من أكثر الأساليب المستخدمة في تحفيز الإبداع والمعالجة الإبداعية للمشكلات في حقول التربية والتجارة والصناعة والسياسة، حيث ظهر، أسلوب العصف الذهني في سوق العمل، إلا أنه انتقل إلى ميدان التربية والتعليم وأصبح من أكثر الأساليب التي حظيت باهتمام الباحثين والدارسين المهتمين بالتفكير الإبداعي خاصة.

إنّ النجاح الفعلي للأستاذ المكون في ممارسته لمختلف الأنشطة البيداغوجية وأدائه لمختلف الأدوار الاجتماعية، يتوقف على مدى توفره على العديد من الخصائص والشروط الأساسية في

شخصيته بمختلف جوانبها البيولوجية، العقلية، المعرفية، النفسية والاجتماعية، والتي تتطلبها عملية التعليم كعملية بيداغوجية، حيث نجد أنّ « التربية لن تكون حقا ما ينبغي أن تكون، نعني إعدادا لمهنة الرجل وإعدادا للحياة في جميع أشكالها، إلا إذا امتلك المربي حول جميع مشكلات الحياة أضواء ومعارف كافية تجعله قادرا على أن يحكم عليها وأن يكيف عمله معها (10)»
 أوبير: (1982، 797)، وعليه تم إحصاء جملة من النقاط في مقارنة أساليب التقويم مع روح المنهاج، وهي كالآتي:

- 1- ضرورة إحداث تنسيق بيداغوجي دائم مع هيئة التأطير المختصة في كلّ مدرسة تربوية ينسق بين أهداف المنهاج التربوي، وطرائق التعليم النشط المناسبة للتعلمات.
 - 2- تحديد نوعية المتدربين والمؤطرين سلفا من أجل إخضاعهم لآليات تقويم طرائق التعليم وتغيير مسارها من الطرائق التقليدية إلى الطرائق الأكثر نجاعة وفعالية في تواصل المنهاج الدراسي معهم معرفيا ولغويا ونفسيا وبيئيا واجتماعيا.
 - 3- تحديد متطلبات المنهاج الجديد وربطها برغبات و ميولات الطلاب سلفا أثناء التعامل مع أنشطته التعليمية بأساليب التعليم النشط المناسب لذلك.
 - 4- تحديد مدى ملائمة البيئة المدرسية لمختلف آليات تقويم طرائق التدريس التي تتماشى مع خصائص المنهاج.
 - 5- مقارنة أساليب تقويم طرائق التعليم مع المنهاج التعليمي من خلال عمليات التنسيق والتشاور المعرفي بين المؤطرين، والمشرف التربوي في الندوات والملتقيات التربوية.
 - 6- تقييم وتفعيل كفاءات التعليم المناسبة، وذلك باستخدام وسائل وآليات مستحدثة في تقويم التعلمات التي تتوافق مع روح المنهاج دون الإخلال بالأهداف أو الغايات.
- 2-2. مشاكل الطرق النشطة في إدارة الصف:

إن توفير النظام الصفّي الفعال يحتاج إلى تخطيط للأنشطة والأدوار التي يقوم بها المعلم والطلاب، بحيث لا يعتمد على العشوائية التي تترك النظام الصفّي، وتؤدي إلى ظهور المشكلات الصفّية لدي النظام، فكلّ معلم مهما بلغت خبرته ودقته وشموليته في التخطيط لإدارة الصف، يواجه مشكلات صفّية يومية متنوعة التأثير و المصدر، وعليه أن يتعامل معها ويعالجها كل حسب درجة تأثيرها على النظام الصفّي، حيث أن الهدف من معالجتها هو توظيف كل الإمكانيات

من أجل تحسين التعلم الصفي، وتقليل السلوكيات الخاطئة التي يمكن أن تعيق ممارسة الطلاب لأنشطة التعلم والاندماج فيها، ومن هذه المشكلات نذكر الآتي:

أولاً- مشكلات مصدرها المعلم:

يؤثر أسلوب المعلم في إدارته لصفه تأثيراً مباشراً لكونه « يشكل اللبنة الأساسية في التخطيط لعملية التعليم وفي تطوير المناهج⁽¹¹⁾ » ، فالمعلم الجيد والناجح مهنيًا، الذي يخطط لدروسه جيداً، ويقدم خبرات تعليمية منظمة للطلاب، هذا المعلم يوفر جواً اجتماعياً ودياً في الصف مما يقلل من المشكلات الصفية، ويتميز المعلم في هذا الجانب بأنه يتعاطف مع الطلاب ويصغي لهم، ويحفزهم على النشاط و الجدية، ويسمح لهم بطرح الأسئلة، كما أنه لا يدع الطلبة يقومون بالسلوك غير المرغوب فيه، بل يضع قواعد لتنظيم العمل في الصف و إدارته، ليلتزم بها الطلاب، كما أن الخصائص السلبية للمعلم تعتبر أسباباً رئيسية في حدوث المشكلات داخل الصف، ويتمثل ذلك في الانحراف عن سير الخطة التعليمية المرسومة له، وعدم تحقيق أهداف الدرس، وإيمانه بالكبت التام للطلبة هذا بالإضافة إلى ممارسة المعلم مختلف أساليب العقاب غير التربوية مما يولد نتائج غير حميدة لدى الطلاب ولدى ذويهم.

إنّ المربي المعاصر الذي يتبع طرائق تدريس تقليدية مبنية على الإلقاء والشرح والتلقين والتي تولد الملل والضجر لدى الطلاب، وتسهم في شرودهم الذهني وتزيد من احتمالية حدوث مشكلات انضباطية في الصف، هو مربي فاشل جملة و تفصيلاً، والمعلم الذي لا يهتم بمظهره ويكون صوته غير مسموع، وحركته داخل الصف غير مدروسة يسهم بشكل كبير في تسرب الفوضى إلى غرفة الصف التعليمي، وعدم انضباط الطلاب كما أن إصرار المعلم على سيادة الهدوء التام والسكوت وعدم النشاط، وإبقاء الطلاب دون حركة أو تنويع في الأنشطة التعليمية، يؤدي إلى احتمالات عدم انضباط الصف التعليمي.

ثانياً - مشكلات ذات صلة بالإدارة المدرسية:

تؤثر الإدارة المدرسية بشكل مباشر في مشكلات الانضباط الصفية، كما أن القوانين واللوائح المدرسية تعمل على تقليل المشكلات الصفية، إلا أن الجمود في بعضها يؤدي إلى الانفجار، واحتمال حدوث هذه المشكلات، ومن الأمور التي تعمل على زيادة المشاكل الصفية داخل الأنشطة التعليمية الحديثة الآتي:

- 1- عدم قدرة الإدارة المدرسية ضبط حاجيات المربين والمتعلمين من وسائل علمية وتقنية تسهم في عملية التعليم المعاصرة. (كالسبورة الرقمية/شاشات الحواسيب) داخل الصف.
- 2- عدم توفير مناخ علمي وتربوي مدرسي ملائم للطلاب لكي يشعروا بالاطمئنان
- 3- عدم قدرة الإدارة المدرسية على التقليل من اكتظاظ الصف التعليمي لغياب تخطيط علمي مدروس لأساليب التعليم النشطة، ونجاحاتها مع الإصلاحات الجديدة.

ثالثاً - مشكلات ذات علاقة بالمتعلم (الطالب):

يقوم بعض الطلاب داخل الصف المدرسي بالعديد من المشكلات السلوكية غير المرغوب فيها، والتي تؤثر على الهدوء الصفية الذي يود المعلم توفيره للطلاب، أثناء استعماله للأساليب التعليمية النشطة، إذ تعتبر المشكلات التي يقوم بها بعض الطلاب مشكلات فردية، منها العبث بممتلكات زملائهم، أو القيام بحركات استنقازية نحوهم أو عدم إطاعة المعلم، وعدم تنفيذ توجيهاته، وتفسير نظرية السلوك الإنساني ذلك بأن هذا السلوك عرضي، والفرد المتعلم الذي لا يشبع حاجاته النفسية فإنه لا يشعر بالانتماء، وإحساسه بقيمته الذاتية مما يجعله يسلك سلوكاً غير مقبول ليحقق الإشباع لذاته وتأخذ عندها سلوكيات الطالب النشط أنماطاً مختلفة حسب غاياتها .

رابعاً - مشكلات ذات صلة بالهيكل الهندسية للصف المدرسي:

لقد عدت الهيكل الهندسية للصف التعليمي في المؤسسات التعليمية الحديثة مطلباً رئيساً لنجاح العملية التعليمية خاصة في الأنشطة التعليمية النشطة، غير أن هذا الملمح لم يحدث لكون الهندسة التقليدية في إنشاء الصف التعليمي، والنمط البيداغوجي الذي يجب أن يكون عليها لم تعط الأهمية له، لغياب الخبرة البيداغوجية، والهندسة الجمالية التي تشرف على عملية البناء

والتشييد المدرسي، فغياب الصف التعليمي الدائري والحركي، وعلى شكل حرف (u) كان من بين أهم أسباب فشل الأنشطة الفعالة (النشطة) داخل إدارة المدرسة الجزائرية المعاصرة.

* - خاتمة الدراسة

مما سبق يمكن القول إن أساليب التعليم النشط من شأنها دفع المتدرسين للتعليم وذلك لأنها تزيل الفجوة بينهم وبين المعلم، كما تحررهم من القيود التي يشعرون بها داخل الصف التعليمي حيث تترك حرية النقاش والحوار داخل المجموعات، فتساعد الطالبة على اكتشاف القدرات الموجودة لديهم. بناء على طريقة الذكاء المتنوع، وحتى أسلوب التعليم التعاوني الذي¹ يستخدم في جلسات العصف الذهني له أثر كبير في تنمية التفكير الإبداعي للمتعلمين، حيث يتيح الفرصة لتبادل الأفكار وتحويرها والإضافة كما نجد التخطيط وجودة التدريس داخل الصف التعليمي هي « العملية الأساسية للإدارة التي يتم من خلالها تحديد الغايات والوسائل عن طريق إصدار القرارات ورسم السياسات ووضع البرامج والميزانيات»⁽¹²⁾، من أجل تحقيق أهداف التعليم، وفلسفته.

الهوامش والإحالات:

- ⁽¹⁾ العجمي، محمد حسين: 2000، الإدارة المدرسية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1. ص73
- ⁽²⁾ حارات، بوب وآخرون: 1998، ترجمة عبد الرحمن توفيق، التفكير الإستراتيجي في إدارة المستقبل، مركز الخبرات المهنية، للإدارة، القاهرة، مصر، ط1. ص 6
- ⁽³⁾ بدوي، أحمد زكي: 2008، معجم المصطلحات العلوم الإدارية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1. ص 240
- ⁽⁴⁾ Halpin ,W ,Andrew :1996, Theory and research in Administration, The Macmillan company , New York.p29
- ⁽⁵⁾ بن دانيه، أحمد: 1991، طرق التدريس والإثارة العقلية للتلاميذ في المدرسة الأساسية، مجلة الرواسي، ع1، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، بانتة. ص 30

- ⁶ زيدان، محمد مصطفى: 1984، الكفاية الإنتاجية للمدرس، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط.1. ص 51
- ⁷ المرجع نفسه. ص 51
- ⁸ الحيله، محمد محمود: 2002، طرائق التدريس واستراتيجياتها، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية، ط.1. ص 180
- ⁹ المرجع نفسه. ص 51
- ¹⁰ أوبير، رونييه: 1982، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت، بيروت، لبنان، ط.5. ص 797
- ¹¹ مسعودان، أحمد: 2008، الإعداد البيداغوجي والاجتماعي للمعلم، مجلة منتدى الأستاذ، ع04، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر. ص 32
- ¹² زاهر، ضياء الدين: 1995، الوظائف الحديثة لإدارة التعليمية، مجلة مستقبل التربية، مج01، ع24، مصر. ص 16